الاستعارة التبريريَّة
مضامين الاستعارة في نظريَّة أوجست كونت من منظور علم اجتماع المعرفة

م.م سعد رفعت سرحت

مديرية تربية صلاح الدين

The Apologetic Metaphor
The implication of the metapora in the theory of august count from the perspective of the sociology of knowledge

Saad Rifaat Sarhat
Directorate Education of Salah Al-din
srafat@gmail.com

الملخص

موضوع هذه الدراسة الاستعارة في النظرية الاجتماعية عند رائدها في الغرب(أوجست كونت),بهدف الكشف عمّا تضمّنته استعاراته من غائيّة ومن مضامين تبريريّة,ففي الوقت الذي كانت فيه النظريّة الاجتماعيّة تراهن على جدارتها وقوّتها عند كونت, أدّت الاستعارة فيها دور الأصل الاستدلاليّ,فقد كانت بمثابة مسطرة معرفيّة لا يمكن الحياد عنها في التنظير الاجتماعي الذي يريد أن يؤكّد ذاته بأن يعبّر عن تقدّمه في مجال الصياغة النظرية على أنّه علم له خصوصيّته وموضوعه ومنهجه المميّز في اللحظة التاريخية تلك. إنّ الحديث عن الاستعارة في النظريّة الاجتماعية من شأنه أن يُربك فيها صفتي العلميّة والموضوعيّة, فالحديث عن الاستعارة يستدعي وقفة سوسيولوجية معرفية تطال مسلّماتها و ركائزها ,لأنّ محاولة الكشف عن مضامين الاستعارة تعني الخوض في التّقاطعات المعرفيّة بين علم الاجتماع وغيره من العلوم, لبيان مقدار ما استعانت به هذه النظرية من أساسيات تلك العلوم ومناهجها و نتاجاتها,وحقًّا فقد شهدت النظرية الاجتماعية ضروبًا وأشكالًا من هذه التقاطعات التي اقتضت عبور المفاهيم و آليات التحليل والاستدلال إليها .كما تعني المحاولة,أيضًا, التحرّي عن ارتباطات علم الاجتماع,أو لنقل أيضًا ارتباطات المنظّر الاجتماعي, بالتوجّهات الإيديولوجيّة ,إذ تكشف الاستعارة عن مدى صلة النظريّة العلميّة في لحظة ظهورها بالنّظم المهيمنة والأوضاع السياسيّة و الاجتماعيّة والاقتصاديّة السائدة,هذا بالإضافة الى إمكان كشف الاستعارة عن الانتماء المذهبيّ للمنظّر وبيان ما يحمله من موضوعية أو تحيّز.

الكلمات المفاتيح:(الاستعارة –التبرير– علم اجتماع المعرفة–التقاطع المعرفيّ–الوضعيّة).

Abstract

The subject of this study is borrowed in the social theory of its pioneer in the West (August Count), with the aim of revealing what was contained in his metaphors of stupidity and justified contents, while the social theory was betting on its merit and strength in The Count, the metaphor served as the role of the inference origin, it served as a knowledge ruler that cannot be neutral in the social theory that wants to assert itself by expressing its progress in the field of theoretical formulation as a science with its specificity, subject and approach distinctive in the historical moment. Talking about borrowing in social theory would confuse the scientific and objective characteristics, the talk of metaphor calls for a pause of sociology of knowledge, because going into it means going into the cognitive intersections between sociology and other sciences, and how much this theory has used from the alphabets of those sciences and their curricula and outputs. Indeed, social theory has witnessed types and forms of these intersections that necessitated the crossing of concepts and mechanisms of analysis and inference from other sciences to it. Going into the metaphor means investigating the associations of sociology, or also to convey the links of the social theorist, with ideological trends, where the metaphor reveals the extent of relevance The scientific theory at the moment of its emergence in the dominant regimes and the prevailing political, social and economic situations, in addition to the possibility of revealing the metaphor of the doctrinal affiliation of the theoretician and showing the objectivity or prejudice he carries.

Key words: (metaphor - justification - sociology of knowledge - intersection - positivism).

المقدمة

الحمد لله ربّ ,العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين,وعلى آله وصحبه أجمعين.موضوع هذه الدراسة الاستعارة في النظرية الاجتماعية إجمالًا ,وعند أوجست كونت بصورة مركّزة.فللاستعارة مضامين ومرامٍ بعيدة,فهي أداة إيديولوجيّة خطيرة في يدِ المنظّر ,الذي لا يلبث يستغل طاقتها التأثيريّة الإقناعيّة لتمرير ما يُصعب تقبّله وفهمه في النظريّة.إنّ خطورة الاستعارة تكمن في قدرتها على التّوجيه و الإقناع ,لِمَا تحمله من مقبوليّة ,سواءٌ بالنظر إلى ما فيها من قيمٍ تأثيريّة أم بالنّظر إلى مَا فيها من قدرة على استغلال المسلّمات –أوما هو في حكم المسلّمات– و كذا استغلال ما هو قارّ و شائع في وعي الجماعة الاجتماعيّة أو في وعي الجماعة العلميّة,بحيث تزيد من إمكان علوق آثارها في النفس,فضلًا عن قدرتها على إحداث توافق وانسجام بين أفكار وأهداف لا يمكن الجمع بينها في الخطاب النظريّ الذي يتوسّل بروح العلم ويتشبّه به,إلّا عن طريق رفدها بالقوّة التأثيريّة للغة,.وبناءً على ذلك نسعى في هذه الدراسة الى الكشف عن مغزى الاستعارة عبر وقفة سوسيولوجية معرفية في نظرية أوجست كونت.إنَّ النظرية الاجتماعيَّة وليدة البرجوازيَّة اصطنعتها لذاتها بهدف تبرير أحقيتها بالثبات والاستمرار,حتى أصبح الحفاظ على البرجوازيَّة وتّوخي سبل بقائها مسؤولية ملقاة على كاهل أصحاب هذه النظريَّة ,وفي المقابل كان على

النَّظريةُ الاجتماعيَّة ,لكي تؤكّد ذاتها على مسرح العلم ,أنْ تنجح في تدشين منهج وضعيّ رصين يقوى على تحصين حدوده و محاصرة مادته,أي الوقائع الخاضعة لتحليلاته.و دون بلوغ هذا الهدف لن يكون بمقدورها المطالبة باسم العلم,فقد كان أمَام هذه النظريَّة رهانات صعبة ينبغي لها أن تتجاوزها ,وإنْ استدعى ذلك الاستعانة بنتاجات العلوم الأخرى والتَّضحية بحقائق الواقع .وإزاء ذلك وجدت النظرية نفسها في حاجة ماسَّة إلى اختراق الأنساق العلمية والفلسفيّة لتتفحَّصها و تنتقي منها العدّة اللازمة فتتسلّح بسلاح العلم بما يكفل لها البقاء والصّمود ,والى ذلك كان المنظّر الاجتماعي قد وجد ذاته مشدودًا – على مستوى الرؤية والمنهج – إلى إطلاق عنان خياله متّكئًا على تقنيات(المماثلة ,واستعارة النّماذج) بما يجعله يتطفَّل على نتاجات العلوم الأخرى لرفد قناعاته .

تنتظم الدراسة في تمهيد تَلِيه ثلاثُ مطالب:

- في **التمهيد** نأتي الى ما يراد بمفهوم الاستعارة في هذه الدراسة هدف إفرادها أو فرزها عن دلالتها الضيقة في النظرية البلاغية,وأيضًا بهدف الوقوف على مكامن القوّة فيها في التبرير الإيديولوجيّ .قبل أن ننتقل الى ما يراد بعلم اجتماع المعرفة,هذا الحقل المعرفيّ الفتيّ في النظرية الاجتماعيّة .
- ننتقل **المطلب الأوّل** الى الكشف عن الاستعارات مع نشأة النظريَّات الاجتماعيَّة الكبرى ,وكيف استغلت النظرية الاجتماعية فاعليّة الاستعارة عن طريق الاستعانة بآليات العلوم الطبيعيَّة والصِّرفة ,وكذا عن طريق إجراء مماثلات مع مسلّمات العلوم الإنسانيَّة والطبيعيّة .
- أمَّا **المطلب الثاني**,ففيها نتحدَّث عن(الوضعية التجريبيَّة من سان سيمون الى أوجست كونت)في محاولة منَّا للكشف عن سياسات النظريَّة الوضعيَّة في استغلال المماثلة الاجتماعية, بدءًا من مرحلة التأسيس على يد سان سيمون, وصولًا الى مرحلة الاكتمال على يد تلميذه أوجست كونت,لنمهّد بذلك الدّخول الى ما نحن في صدد مقاربته في هذه الدراسة,ذلكم هو مضمون الاستعارة التبريريَّة والتقاطع المعرفي في نظرية كونت,و الذي يشكّل **المطلب الثالث** .

التمهيد:عن مفهومي الاستعارة التبريريّة وعلم اجتماع المعرفة.

يُراد بالاستعارة,هنا,لا معناها الضيّق بما هي موضوع من موضوعات النّظريّة الأدبيّة و البلاغيّة,وإنّما المراد :الاستعارة بمعناها الواسع الذي يستغرق,فضلًا عن مضمونها الأدبيّ,كلّ ما يحيل في النظرية الاجتماعيّة على المبالغة في تبسيط الأمور والموضوعات التي هي قيد البحث والدراسة ,في محاولة الى تفسيرها و توضيحها من جانب المنظّرالاجتماعيّ الذي يسير وفق خطّة محدّدة سلفًا تحدو به الى اختزال الحقائق عن طريق استغلال الطاقة الحجاجيّة للغة من جانب,و استعارة المفاهيم والمصطلحات التي قُدّر لها الشيوع في التراث العلميّ من جانب آخر ,وكلّ ذلك بهدف استمالة الجمهور وجذب انتباههم ,ومن ثمّ تمرير فكرة معينة الى أذهانهم بفضل القوّة التَّأثيريَّة في خطابه.وعلى هذا تحيل الاستعارة في علم الاجتماع على فكرة استدعاء المقولات المأثورة في المجتمع ,أو استدعاء النماذج والمفاهيم والمصطلحات من التّراث العلمي في حقلٍ معرفي ما و تكييفها في علم الاجتماع,فالاستعارة ((عملية استنباط للتشابهات من خلال الحدس,فالاستعارة الجيّدة تتضمَّن إدراكًا حدسيًّ للتشابه بين شيئين يبدوان مختلفين عن بعضهما ,ولقد أصبح دور الاستعارة حاضر في علم الاجتماع ,وخلق رواد علم الاجتماع عديدًا من الاستعارات التي تعبّر عن وجهة النظر السوسيولوجية,وبما يتناسب مع موضوع العلم وتوجهاته))[1]. لا تخلو الخطابات العلميّة في العلوم الإنسانيَّة من مضامين إيديولوجيَّة ومغالطات تُمرَّر عبرَ لغة إيحائية تستهدف مشاعر الجمهور بدلًا من مداركه,الأمر الذي يؤدي الى انشطار الخطاب الى خطابين يتعايشان معًا في فضاء نظريٍّ واحد:أحدهما تقريريٌّ علميّ والآخر إيحائيٌّ تأثيريّ .وعندئذٍ يراد بالاستعارة هنا كلّ أشكال المبالغة والأحكام الإجماليَّة التي يتوسّلها المنظّر الاجتماعي المؤدلج بغية اختزال الحقائق وتشويهها بحجة التوضيح, حتّى لو أدّى ذلك الى عدم إنصاف الموضوع الذي هو قيد الدّراسة,فالحديث عن الاستعارة لا يعدو أنْ يكون حديثًا عن القوّة التي تتيح للغة القدرة على معالجة الملايين المملينة من الأشياء على حدّ تعبير (كليفورد غيرتز)الذي يرى أنَّ الاستعارة تكون في أشدّ حالاتها تأثيرًا عندما تكون في أشدّها بطلانًا,لأنّ قدرتها مستمدَّة من التفاعل بين أشياء متنافرة تُجمع رمزيًّا بالإكراه[2]. ولكي تكون الاستعارة تبريريّة ينبغي تُبرز –صراحةً أو ضمنًا–سيادة فئة متمكّنة على المجتمع ,وتسوّغ أخطاءها ,وتجمّل قناعاتها .عندما توصف الاستعارة بالتَّبرير,يراد بذلك التسويغ الإيديولوجي لفكرة اختزاليّة ما,فالتبريريّة صفة تقييميّة تطلق على التوجهات الإيديولوجيّة في النظرية الاجتماعيّة التي تسوّغ سيادة طبقة ما أو سلطة ما على المجتمع,حين تقدّم خططها تقديمًا مقبولًا ,وتجمّل أخطاءها وتسوّغ سيادتها,وهكذا مثلًا حين يشار إلى أنّ نظرية كونت كانت نظرية تبريريّة,لأنها كانت تصبّ في مصلحة اتلمحافظين,وتبرّر سيادة البرجوازية على المجتمع,وتلتمس الأعذار لأخطائها و شططها. هذا عن الاستعارة وما تضمر من مضامين تبريريّة ,أمّا علم اجتماع المعرفة فيعني ذلك الحقل المعرفيّ في النظريّة الاجتماعيّة الذي يُعنى بدراسة العلاقة بين المعرفة –على اختلاف

أشكالها– وبين السياق الاجتماعي والثقافي الذي تمخّضت عنه,بالنظر إالى أنّ الحقائق العلميَّة تُبنى وتشيَّد على نحو اجتماعيّ,وأنّ الدراسة المعرفيّة المنتمية الى هذا المجال يتعيّن عليه واجبين:أولهما الكشف عن العمليات التي تتمّ من خلالها تكوين المعارف وتشييد الحقائق اجتماعيًّا[٣].والآخر الكشف عن دور الأفكار والمعارف في حفظ النظام الاجتماعي السائد,أو دورهما في تفجير هذا النظام وخلخلته في زمان ومكان محدّدين[٤].إنَّ ظهور سوسيولوجيا تُعنى بالمعارف لتحديد سياقاتها فرضته ضرورة عصريّة فرضتها محاولات إعادة النظر في تأويل النماذج النظريّة والفكرية للمعرفة والصور والنماذج الاجتماعية التي خبرتها البشرية على امتداد تاريخها[٥] على أنَّ تركيز سوسيولوجيا المعرفة على إعادة النظر في النظريات والفرضيات التي ظهرت في مجتمعات متقدّمة لا يعني أنّه غير معنيٍّ بطبيعة المعارف في المجتمعات القديمة ,أو بطبيعة المعارف في المجتمعات البدائيّة,لأن تلك المجتمعات لم تتخلّف عن المعارف بما يتّسق مع استعدادتها وظروفها التاريخيّة,إذ ينشغل هذا الحقل بالمعارف بكلّ أنماطها وأشكالها بعيدًا عن أيّ نزوعٍ تقييميّ,فلا يستثني الخوض في طبيعة المعارف البدائيّة التي ارتبطت حينًا بالمثيولوجيا و الترّهات التي كانت تعبّر علاقة الإنسان بالمكنونات الاجتماعيّة ,وعن انشغاله بالتحقيق والتساؤل عن وجوده .و ارتبطت تلك المعارف البدائيّة ,حينًا آخر, بالمعرفة الدينيّة التي كانت توضّح علاقة الإنسان بالعالم الخارجيّ.فالهدف من وراء انشغالات سوسيولوجيا المعرفة بالأفكار والمعارف الكشف عن الآليات التي تعمل على إخضاع الإنسان وتحاصره بالسيطرة وترغمه على التكييف مع المعايير السائدة في إطار واقعه في زمان ومكان محدّدين[٦] هذا من جهة.ومن جهة أخرى أنّ عناية سوسيولوجيا المعرفيّة بما هو اجتماعيّ كليّ لا يلغي النزعات الفرديّة وأثرها في تشييد المعرفة,لأنّ القول باجتماعيّة المعرفة مطلقًا لا يخلو من الوقوع في مغبّة الإعمام و التجنّي على الذات الإنسانيّة التي هي مثلما تتأثّر بالظروف الاجتماعية ,فهي تؤثّر أيضًا في توليد المعارف,الأمر الذي يعني أنّ ثمة علاقة جدلية بين الذات العارفة والموضوع المستهدف فكريًّا من ناحية,وبين هذين الاثنين معًا والمحيط الذي يعيشان فيه,فقد رأى ماكس شيلر–مؤسس هذا الحقل المعرفيّ– أنّ المعرفة تتوثّق علاقتها بالعقل والمجتمع,وترتبط بالجانبين المثاليّ والماديّ اللذين يسائلانِ عن ضخّ الأفكار التي تعبّر عن أنماط الحياة الثقافيّة وطبيعة البناء الاجتماعيّ القائم[٧].إنّ اجتماعية المعرفة تعني–كما يقول كارل منهايم– أنّ الفرد وحده هو القادر على التّفكير,إذ لا يوجد كيان ميتافيزيقيّ كعقل الجماعة يتجاوز الأفراد ويفكّر فوق رؤوسهم بحيث لا يفعل فعل الأفراد شيئًا سوى تكرار أفكاره,ومع ذلك يجب أن نحترز من أمر جوهريّ هو أنّ من الخطأ القول ,أيضًا, بأنّ أصل الأفكار والمشاعر التي تحرّك الفرد موجود في الفرد وحده أو القول بإمكان الفرد وحده بعيدًا عن الجماعة شرح تلك الأفكار والمشاعر على أساس خبرته الخاصّة وحده,فالحقّ أنّ التفكير لا يمكن أن يكون إلَّا اجتماعيًّا[٨]. إنّ النظريّة الاجتماعية في زمن كونت كانت متورّطة بالإيغال والتمركز حول فكرة كليَّة المعرفة حين أقرّت باجتماعية الفكر بالمعنى الميتافيزيقيّ الذي يحيل على وجود روح جمعيّة أو كيان كليّ يتجاوز الأفراد,وبذلك أغفلت النظريّة الاجتماعيّة الواقع ,ولم تستطع–قصدًا لغايات إيديولوجيَّة –أن تقارب المعرفة وفق محتواها السياقيّ.ونرى أنّ الاستعارة قد أدّت دورًا جوهريًّا في تبرير هذه الفكرة وتمريرها وعلمنتها عبر اللعب على حساسيّة المماثلة بين ماهو اجتماعي وما هو طبيعي,نعم فقد كانت الاستعارات قبل كونت فجّة فيها من المبالغة ما يكفي,حتى جاء كونت وجنح إلى تقنينها وتشذيبها بتقانة وضعيّة,ولا نظنّ مع ذلك أنّه نجح في تخليصها من ارتباطاتها الإيديولوجيّة.هذا ما تحاول الدراسة الكشف عنه في نظرية أوجست كونت.

المطلب الأول :(نشأة النظريات الكبرى واستعارة النماذج)

يكاد يكون ثابتًا أنَّ غياب نظرية راسخة على صعيد العلوم الإنسانية قد أفسح المجال أمام ازدهار ما لا يحصى من الآراء والفروض [٩].وهذا يلخّص لنا حدَّة الهواجس التي تعتري من يحاول الاطِّلاع أو التَّوقف عند اللَّحظات الحاسمة في ولادة العلوم والمعارف ,إذ لا يبرز العلم دفعة واحدة مكتملًا من دون أن يمرّ بمراحل تكوين ،فمن الصعب أن يحدّد العلم موضوعه دفعةً واحدة,وإلَّا فإنَّ أشواطًا طويلة تنتظره ليكرِّس موضوعه و يدشِّن طريقته بتكوين المفاهيم وطرح آليات العمل,فممَّا لا بدَّ منه أن يقيم هذا العلم الناشئ مع العلوم الأخرى علاقات و وشائج ,نعم فقد يبدو أن لكلِّ علم استقلاليته وحدوده المحصَّنة,لولا أنَّ علاقته مع العلوم الأخرى وتطفُّله على عناصرها ,سواءٌ أ كان ضمنًا أم صراحة,لا بدَّ أن ينكشف في أجهزتها المفاهيميَّة وصياغاته الاصطلاحية,ومن ثمَّ فإنَّ العلوم تتقاطع إمَّا بحكم تزامنها في النشأة,أو بحكم اعتمادها على ثوابت معينة تتَّخذها نماذج ارشادية لا تحيد عنها,أو بحكم وجود غايات مشتركة بينها.على ما ذهب الى ذلك (أرمان كوفيلييه) من أنَّه عندما تحاول مجموعة من الأفكار أن ترقى الى مرتبة العلم ،فإنَّها تستجيب في أغلب الأحيان لمطالب متعارضة ومتضادة في الظاهر ،فالعلم الجديد بسبب حاجته الى أن يتوطَّد كنظام وضعي في مبدأ الأمر,لا بدَّ أن يكون متقبّلًا ومنصاعًا لتأثير أقرب العلوم إليه ، لدرجة أنه يبالغ في تبسيط موضوعه كي يتشبه بهِ [١٠].هذا،و إذا كانت العلوم والمعارف والتّطلّعات الفكرية تعكس ظروفها الاجتماعية وسياقاتها التاريخيّة التي أُنتجت في أحضانها أو التي استقبلتها وتأثرت بها[١١]،فلنا هنا أن نستبق مضمون هذه الصفحات بأنَّ النظريات الكبرى التي أخذت العلوم

الانسانية تستقي منها منذ القرن التاسع عشر كانت شديدة الوفاء لظروفها التاريخية وقواعدها الاجتماعية التي نمت على أرضيتها,ومن ثمَّ فإنها ((التصقت بالمضمون الإيديولوجي الذي أشاعته الثقافة الغربية بما يوافق منظورها ،ويترتب ضمن الأفق العام لتصورها))[١٢]وهي على ذلك وليدة موجهات إيديولوجية أسهمت في تكوينها وبلورتها, وذلك لأنَّ الأفكار والالتزامات التي يحملها العالِم ,أو المنظّر, ظلَّت تؤدّي دورًا رئيسًا في رؤيته الظواهر التي هي موضوع نظريّته، بما يعني ذلك استحالة أن يكون علم الاجتماع عاطلًا عن ضروب من الالتزامات والارتباطات والعواطف [١٣], يقول (بوبوف) : ((إنّ هذه المرحلة كانت في الحقيقة مرحلة الصعود الثّوري التقدمي للطبقة البرجوازية الأوربيَّة ، مرحلة كان فيه على هذه الطبقة أن تنجز فيها ثورة ثقافية الى جانب ثورتها الاجتماعية ، وهي قد فعلت ذلك))[١٤] ومقارنة بالعلوم الأخرى ، فإنَّ علم الاجتماع و الأنثرولوجيا التي انبثقت منه ،يعدَّانِ من العلوم حديثة النشأة والتَّكوين ، وقد تزامنت نشأتهما مع التوجُّه المعرفيّ السائد الذي يستدعي في كلِّ توجهاته فيزياء نيوتن وتجريبية فرانسيس بيكون ، فقد كانت نظرية نيوتن تمثِّل أصدق صورة للعالم وللواقع المادي ،وإزاء ذلك ظهرت فلسفات ماديَّة آلية تصرُّ على ماديَّة الكون وترى أنَّ معرفة الأسباب متعلِّقة بالمسبِّبات ، وهذا يعني أنَّ الإنسان يستطيع أنْ يسيطرَ على كلِّ مراحل التغيُّر والتَّطور التي عرفها العالم المادي خلال مسيرته التاريخية[١٥] .فمع بيكون ، وهو صاحب الدور التأسيسي للحداثة العلمية , ظهرت رؤية مؤدَّاها ((أن فكرة الاستقراء الواقعي ، هي المفتاح الى الطفرة العلمية المنشودة ،ومن هذا المنطلق تمكن من بلورة ما يسمى بالطريقة العلمية أو المنهجية العلمية ، وهي الطريق التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والوصول الى افتراض لتفسير الحادثة أو الواقعة, ثم السَّعي بعد ذلك الى إقامة البراهين العلميَّة و التجريبيَّة لإثبات صحَّتها وتأكيد قانونيتها))[١٦]إنَّ إعلاء صوت العقل والامتثال له في القرن التاسع عشر, فيه ((ما يشير الى ضرورة تحويل ما كان نظريًّا في القرن الثامن عشر الى أرضيَّة لبناء واقع اجتماعي مختلف يصبح قابلًا للتعيين إبَّان القرن التَّاسع عشر))[١٧] وعندئذٍ اقتضى الواقع أنْ تصبح غالبية العلوم الإنسانية والاجتماعية تقتدي بهذا المنهج ,بقصد حلِّ كلِّ المشكلات اليومية ، كما طبق على المجتمع الإنساني بقصد فهم الظاهرة الاجتماعية فهمًا دقيقًا ويقينيًّا يمكن من خلاله ضبطها ضبطًا محكمًا[١٨].وهكذا كان التوجُّه المعرفيُّ السائد يبتغي التَّطابق مع (النزعة الآلية)[١٩] التي أحرزت تقدمًا كبيرًا في هذا القرن وأصبحت دوغما لا يطاله الشكّ ولا يتناوله السؤال,لأجل مسايرة الروح الطبيعيَّة التي تفضي الى الثِّقة العمياء بالعقل وبعمومية القوانين الطبيعيَّة ، ومن ذلك أصبحت مقولتا (وحدة العلوم)[٢٠] الديكارتيَّة ومقولة (اتِّساق الطبيعة)[٢١]عقيدةً سائدة آنذاك ، ممَّا أدّى إلى سيادَة التَّوجُّه صوب توحيد الرؤى في العلم عبر الاندفاع السافر الى الفيزياء والكيمياء و الأحياء والرياضات [٢٢].بالنّظر الى أنَّ هذه العلوم كانت تشكّل قناعة راسخة على صدق النظام المعرفيّ المتحكم في البنية المعرفية للعلوم الإنسانية .

ولكن لماذا هذه العلوم بالتّحديد؟.

يقول هنتر ميد : إنَّه ((لمَّا كانت الفيزياء والكيمياء هما أول علمين يبلغان سنَّ الرُّشد ، ومن ثمَّ كانا أولَ علمينِ يصلان الى الدِّقة عن طريق الانتفاع الكامل من المناهج الكميَّة ، فقد كانا من المحتَّم أنْ يصبحا معيارًا أو مثالًا أعلى يسعى الى بلوغه كلُّ العلوم الأخرى)) [٢٣] كذلك الأمر فيما يخصُّ البيولوجيا التي هي امتداد للفيزياء والكيمياء ، وذلك ((أنَّ المذهب الآلي البيولوجي يرى أنَّ الكائن العضويَّ نظام فيزيائيٌّ – كيميائيٌّ ، وهكذا فإنَّ القائل بالمذهب الآلي لا يعترف بوجود فارق هامٍّ بين العالمين: العضويّ وغير العضويّ))[٢٤].إنَّ حقيقةً يؤكِّدها تاريخ العلوم هي أنَّ العلوم الإنسانيَّة جاهدتْ لأن تلعب دورَ التَّابع للعلوم الطبيعيَّة ، فقد كانت فتوحات العلوم الطبيعية تغري وتبعث على الاقتداء بمنطلقاتها وثوابتها ((خاصةً منها علم الاجتماع الحديث ,إنَّ معظم الذين ساهموا في تقديم الدراسات الاجتماعية الحديثة , قبل أن تستقل على يد دوركايم، نظروا الى الظواهر الاجتماعية نظرة مستمدة من تصويرهم للطبيعة وظواهرها)) [٢٥] . بقي عندنا الحديث عن الرياضيات ومكانتها بين هذه العلوم ، فالرياضيات ليست من العلوم الطبيعيَّة ،ومن هنا حاول جملة من المفكرين ((قبل كونت جهدهم لكي يبيّنوا أنَّ العلوم متجانسة في جملتها ، أي لكي يتجنبوا القول بأنَّ العلوم الرياضية وعلوم الطبيعة تكوِّنان طائفتين تتميّز إحداهما عن الأخرى))[٢٦].وكأنَّك بهؤلاء حين أرادوا إثبات زعمهم أنَّ هذه النماذج المستعارة من العلوم الطبيعية ممكنة التطبيق على العالم الواقعيّ,نعم فقد((رأوا ، منذ ديكارت ، كيف يطبّق التحليل الرياضي على الظواهر الهندسيّة والميكانيكيّة والطبيعيّة ، وليس من السَّقم في التَّفكير أنْ يتصوَّر المرء أنَّ ما يمكن تحقيقه بالنسبة الى هذه الظواهر يمكن تحقيقه أيضًا بالنسبة الى الظواهر الأخرى))[٢٧].

وهكذا,وفق هذه الرؤي, يتمُّ إحكام الإطار النموذجيّ ،وذلك من جانب أنَّ استعارة النماذج الرياضيَّة و الإجراءات الإحصائية لا تتخلف ، في الأهمية ، عن استعارة النماذج من العلوم المتقدّمة الذّكر ، كما أنَّها لا تقلُّ عنها أهمية في أنْ تكون معيارًا أو مثلًا أعلى بالنسبة الى العلوم الإنسانيَّة ،فالسوسيولوجيون في هذا الإطار ((استخدموا الإحصائيات في تحليلاتهم ، حين رأوا فيها نوعًا من الآليَّات والتقنيَّات والنَّماذج التي يمكن تطبيقها على الظواهر الاجتماعية ، لقد أثرت هذه النَّماذج الرياضيَّة على عمل السوسيولوجيين بشكل كبير، إذ طغت عملية تحويل وترجمة المشاهدات الى مصطلحات تستخدم في إطار النماذج السوسيولوجية))[٢٨].وإذا كان الانتفاع من مبادئ الفيزياء والكيمياء و الأحياء تخدم البنية النظريَّة الكبرى للعلوم الاجتماعية وتكون أقرب الى أعمال المنظِّرين , فإنَّ الإفادة والانتفاع من المناهج الكميَّة الاحصائيَّة تخدم الأبحاث السوسيولوجيَّة الحياتيَّة ، فمن خلالها ((يحلّل السوسيولوجيّ بشكل أساسيّ حقائق اجتماعيّة احصائيّة ، أي أرقامًا نموذجيَّة مختصرة ومميّزة تعتمد على مشاهدات جماهيرية أجريت خصيصًا للظواهر الاجتماعية)) [٢٩]. تبدو طبيعة هذا الانتفاع الاستعاريّ ,للوهلة الأولى ,أنَّه يتعلّق بالجانب الكماليّ الذي يؤدّي دور المكمّل فحسب، إلَّا أنه في الحقيقة ذو دور أساس ، بحيث يقوم بدور الدَّليل الذي يثبت ويبرهن بمكرٍ على كون المجتمع كيانًا ماديًّا طبيعيًّا(=شيئيًّا بتعبير دوركايم) مَثُله كمثل أيّة ظاهرة ماديَّة,ولا يمكن مقاربته إلّا بأدوات العلوم الطبيعية والعلوم الصّرفة ، فالسوسيولوجيون يؤكّدون على أن النَّماذج الرياضيَّة والمعلوماتيَّة الإحصائية لا تتلخَّص ((بمعالجة وترتيب الوقائع الأوليَّة))[٣٠] فحسب ،و إنَّما يتعمّقون و يبالغون في الترويج لها ، وهم ما ينفكّون يؤكّدون على أنَّ المهمة الملقاة على الباحث السوسيولوجيّ تتجسَّد في ضرورة ((أنْ يضع لنفسه مهمة اكتشاف معارف جديدة ، وذلك يعني الارتفاع بتحليل الواقع الى المستوى النظريّ، إذ لا تتوقَّف الأبحاث السوسيولوجية بتحليل الحقائق التجريبيَّة وحسب ، بل معالجة نظريات سوسيولوجية خاصة))[٣١] .فهذا هو الرِّهان العقلانيّ الذي كرسّته الحداثة الغربيَّة ، وكابرت على ثباته واستمراره ((في البحث عن المعرفة اليقينيَّة ، وعن وسيلةٍ للسيطرة على قوَّة الطبيعة والمجتمع))[٣٢].ولعل ذلك يفسّر لنا تتويج هذه المساعي بنظريتين كبيرتين تشكّلان إطارًا مرجعيًّا يطرح ذاته بوثوقيَّة منقطعة النّظير ،وهما "الداروينيّة –والوضعيّة" ,اللتين فرضتا سلطتهما على علوم الإنسان عامّة,وتحكّمتا بكلّ آثارها.

المطلب الثاني :(الوضعية التجريبية [٣٣] من سان سيمون الى أوجست كونت)

تطلق لفظة (وضعي positif) – بوجه عام – على ما هو واقعيّ عيانيّ في مقابل ما هو وهميّ, و كذا على ما هو إيجابيّ في مقابل ما هو سلبيّ, و إذا كان الأمر هذا, فإنَّه مدعاة الى أن تشمل اللفظة كلّ ما كان للإنسان فيه دخل في ما قبل ما هو إلهيّ, و عندئذٍ يفهم من (الوضعيَّة positivism)أنّه مذهب أو اتّجاه عريض يرى في الفكر الإنساني قاصرًا لا يُدرك سوى الظَّواهر الواقعيَّة و المحسوسة ,و ما بين هذه الظواهر من علاقات و قوانين , وأيضًا يرى أنَّ العلوم التجريبيَّة هي المثال الأعلى لليقين, ولهذا لامحلّ في نظر هذا المذهب للبحث عن طبائع الأشياء ولا عن عللها الغائيَّة [٣٤]وسنرى أ حقًّا كان الوضعيون أوفياء لهذا الرّهان وابتعدوا عن البحث في طبائع الأشياء و عللها الغائيّة؟. شاء مؤرخو الفكر الأوربيّ أن يعودوا بأساس الوضعيَّة الى المفكر الفرنسي **الاشتراكي** النَّزعة كلود هنري سان سيمون (١٧٦٠– ١٨٢٠ م) مع أنَّ الأنسكلوبيديين [٣٥] هم البداية الفعلية للمذهب الوضعيّ , على ما يذهب الى ذلك (أرمان كوفيليه)الذي يبادر الى القول بأنّ دور سان سيمون لم يكن سوى استمرار لتقليد قديم يرجع الفضل فيه الى رجال دائرة المعارف عندما أودعوا الروح الوضعيَّة في جسد العلوم الاجتماعية و أثبتوا ,قبل سيمون و تلميذه كونت,فكرة وحدة المعارف , و قبلوا فكرة الحتميَّة [٣٦] التي يرتبط بها كلُّ شيء [٣٧] هذا مع أنَّ سيمون ذاته يعترف بدَينه الى مواطنه السياسيّ المحافظ (الكونت دي بونالد) الذي كان يشكّل ركيزة مهمة في الفلسفة التي تبنّتها الإيديولوجيَّة المحافظة في فرنسا إبَّان سقوط نظام بونابرت و عودة النِّظام الملكيّ (١٨١٥– ١٨٣٠ م) [٣٨] وقد أُثِر عن سيمون اعترافه بالفضل لبونالد الذي علَّمه ((أنَّ المجتمع هو آلة عضويَّة يساهم كلُّ جزء من أجزاء هذه الآلة بتحريكها و حركتها ككلّ))[٣٩] إن ارتباط ظهور الوضعيَّة في ظرف كهذا , إنّمَا هو تعبير عن الإطار الاجتماعي الذي فرضته عودة النظام الملكيّ في فرنسا ,هذا النظام الذي قامت عليه الوضعيّة من أجل نصرة البرجوازيّة و تطبيعها. وقد تبدو في موقف سيمون للوهلة الأولى مفارقة لا يمكن تخطّيها,وهي أنّ سان سيمون ذو ميول يساريّة بما يجعله لا يتوافق مع هذا النظام ,ولكن مع إمعان النّظر نصل إلى أنّ ضرورة تاريخيَّة قضت أن يجتمع المحافظون و الاشتراكيون على فكرة مشتركة عنوانها (المبدأ الاجتماعي) الذي يفضي الى البحث عن بديل مناسب لتنظيم المجتمع آنذاك, عن طريق انخراط المحافظين والثَّوريين في سبيل دفع التناقض والتقليل من حدّة الصراع الفكريّ بينهما,ومن ثمّ إيجاد توليفة نظريّة تجمع بين الأفكار البرجوازية والاشتراكية .فكلا الطرفين يجتمعان على هذه الفكرة ,بيد أنَّ الخلاف بينها يظلّ قائمًا حول طبيعة هذا التنظيم , وهو خلاف يتعلّق بالعقل التّنويريّ الذي يتمسّك به اليسار, و لا يتمسّك به اليمين المحافظ الذي يتوجّس خيفة من خطاب التّنوير .وعلى أيّ حال اتّجه سيمون يصف نفسه بأنّه مزيج من بيكون و نيوتن

و لوك , و مرة يصف نفسه بأنّه (البابا العلميّ للانسانيّة) أو (نبيُّ المسيحيَّة الجديد) [٤٠] وهو يشير بذلك الى إمكان جمعه بين الطرفين على مجموعة أفكار مشتركة ,وهذا بقدر ما فيه تعبير عن جنوح أفكار سيمون الى إيجاد نسق شموليّ قادر على استيعاب الكلّ وقمع الطاقات البشريّة المختلفة والأفكار الشاذّة عنه ,بقدر ذاك فيه تعبير عن تراجع الحسّ الإشتراكي عند سيمون,ويبدو أنّ الحنين يشدّه الى نشأته البرجوازيّة ,وإلّا فإنَّ أشياءَ كثيرة في النظريّة الاجتماعيّة,بل في خطاب الحداثة بصورة عامّة, تعكس مثل هذا التمزّق والازدواجيَّة اللذين يعيشهما المنظّر.

و على أيّ حالٍ, رأى سيمون ((أنَّ العلم كفيلٌ بتوفير التَّنظيم و النّظام للبناء الاجتماعيّ, و لذلك اقترح بأنْ تقوم النُّخبة من (المهندسين) الاجتماعيين بالتّخطيط للمجتمع و إرادته و فقًا للمبادئ العلميَّة)) [٤١] و قد حاول تقنين علم الإنسان- (أي علم الاجتماع كما كان يطمح إليه و ليس المقصود بعلم الإنسان هنا الأنثروبولوجيا)- و إسناده الى مرجعيَّة العلوم الطبيعية و اقترح جرّاء ذلك نظامًا اجتماعيًّا مؤسسًا على القواعد النيوتنيّة في الفكر و النّظام و القوانين العامة ,مؤكّدًا على ضرورة أن يدرس هذا النظام تبعًا للمنهج الذي تسير عليه العلوم العريقة الأخرى ,و هذا من منطلق أنَّ علم الإنسان جزءٌ من الفزيولوجيا [٤٢] و بذلك استأهل سيمون أن يشار إليه على أنَّه أول من اختطَّ ,الى حدٍّ كبير, الطريق الى الوضعيَّة التجريبيَّة , إنَّه أول من استعمل اللفظ (وضعيّ positif) بمعنى المذهب الوضعيّ , و كذلك نجده يفهم عن هذا اللفظ أيضًا معنًى مقابلًا للمدنيّة السلبيَّة في القرن التَّاسع عشر و الثورة الفلسفيَّة , وهو أيضًا يتنبأ بقرب مَقْدِم عصر الأفكار الوضعيَّة التي ينبغي أن تحلَّ محل الأفكار الخارقة للطبيعة و يطرح كلَّ تفكير نظريّ ميتافيزيقيّ ,ولهذا السَّبب يطالب سيمون بسياسة فيزيائيَّة و علمٍ للمجتمع يكون موضوعُه دراسةَ النَّاس المجتمعين في جماعة بمنهج و ضعيّ , أي بالملاحظة التاريخيّة .إنّ الدعوة الى نبذ التفكير الميتافيزيقيّ تضمر نَّزعة أداتيَّة فجّة في تفكير سيمون,ففي الوقت الذي ينبذُ فيه التصوّر الذي أخذ يُشاع بين العلماء عن ضرورة أن يكون(العلم للعلم)و يتَّجه الى تبنّي علمٍ ذي طابع نفعيّ واضح يحقِّق الخير و الصلاح للمجتمع [٤٣] فإنّ فكرته عن إخضاع ما هو اجتماعي الى سياسة فيزيائيّة لا تخلو مغزى إقصائيّ واستلابيّ للإنسان ,هذا الكائن الذي يتميّز عن كلّ ما هو هو عيانيّ بتفكيره ,وعندما يسيّر وفق سياسة فيزيائيّة لا بدّ من أن تتحكّم فيه أنماط دخيلة على طبعه تُقصي منه ذاتيَّته وتحدّ من تطلّعاته,بغية إخضاعه لسطوة النظام,وعند هذا لا تخلو طروحة سيمون من تأمليّة تجعلها الى التفكير الميتافيزيقيَّ أقرب منه الى التفكير العلميّ . ما تقدَّم إشارة الى أنَّ سان سيمون هو السلف المباشر لأوجست كونت ,وأنّ مجموعة من النقاط الجوهريَّة التي بها يختطّ الطريق الى الوضعيّة تبرزعلى يدِ تلميذه بالصّورة التي انتهت إليه , ولكنَّنا ما أن نصير الى أوجست كونت حتى نرى أنَّ الوضعيَّة صارت بمثابة انتهاء الرِّهان الفلسفيّ الميتافيزيقيّ في أواخر عصر التَّنوير , وعند هذا كانت وضعيّة كونت ((أعظم قوة دافعة للنظريَّة الاجتماعية)) [٤٤] تظهر فلسفة كونت في الأيَّام التي و صلت فيها بلاده الى أقصى درجات الفوضى و الانهيار في كافّة مجالات الحياة ,سواءٌ السياسيّة أم الاقتصاديَّة أم الاجتماعيَّة [٤٥] و بالتَّحديد تظهر بالتَّزامن مع صخب الرُّومانسيَّة [٤٦] و ضجيجها في الثلاثينيّات و الأربعينيَّات من القرن التاسع عشر ,ومن ثم انبعث المذهب الوضعيّ لكونت ليصبح المذهب الفكريّ الارثودوكسيّ [٤٧] للامبروطوريَّة الفرنسيَّة الثانيَة (١٨٥١ – ١٨٧٠ م) و بهذا صارت وضعيَّة كونت من الفلسفات المنهاجيَّة الرئيسة في القرن التاسع عشر ومع أنَّ كونت يرفض أيَّ توجه نحو الغائيَّة و المعياريَّة [٤٨] وإنَّما يبتغي من العلم المعرفة الموضوعية للحقيقة الاجتماعيَّة – أقول و مع ذلك ,فإنَّ كونت لم يرفض الاصلاح و التحسين اللذين هما في نظره رفض كلِّ حركة أو توجّه الى قلب النّظام القائم أو نفيه , و نتيجة لذلك جاءت و ضعيّته و ضعيَّة دفاعيَّة تبريريَّة [٤٩]و أدَّت فيها الاستعارة دورًا عظيمًا لا يخلو من التّجني على حقائق كثيرة من أهمّها الإرادة الحرَّة للإنسان.

رأى كونت كسابقِيه ,أنَّ للمجتمع نظاماً قارًّا قائمًا, ليس على الإرادة الإنسانية تجاهها إلّا الخضوع و الاستسلام [٥٠] وحقيقٌ , إذن , أن يؤدي الخضوع للقوانين الثابتة في المجتمع الى تثقيف الناس و إعدادهم للطواعية و الانصياع للنظام ,وامتثالهم لِمَا هو قائم, و تشجيعهم على الاستسلام له كليّاً [٥١] وهنا يبدو المغزى من جعل المجتمع على مثال الفيزياء في الدقّة حين تكون المادة فيها خاضعة لنظام الطبيعة ,فما على الدارس إلّا مقاربتها بعيدًا عن هواجسه وقناعاته,فمضمون هذه الاستعارة هو سلب الإرادة الإنسانية لطالما أنَّ حركة المجتمع تخضع بالضرورة لقوانين فيزيائيَّة طبيعيَّة لا تتغيَّر و لا يحكمها أيُّ نوع من الإرادة .و عليه فإنَّ رفض كونت للمتافيزيقيا قد اقترن بسلب الإرادة من الإنسان و رفض أيَّة دعوة تنصُّ على أن الانسان قادرعلى تغيير نظامه الاجتماعي ,أو إعادة تنظيمها و فقًا لإرادة عاقلة [٥٢] ومن هنا تتجسَّد لدينا (حتمية) كونت و اندماجه في زمرة المناصرين و المدافعين عن الإيديولوجيا البرجوازيّة.و على أيّ حال تعود إلى كونت صيغة اسم العلم (saciologie)الذي ذاع بعده وصار علمًا على هذا العلم,الذي يعرّفه بأنَّه العلم الذي يتَّخذ له موضوعَ ملاحظة الظواهر العقليَّة و الاخلاقيَّة التي بها تتكوّن الجماعات الإنسانية و ترتقي [٥٣] و كثيراً ما كان يسميه قبل ذلك بالعلم الاجتماعيّ الطبيعيّ (physiaue saciale) أو بالفيزياء الاجتماعية [٥٤].

المطلب الثالث: (الاستعارة التبريريَّة والتقاطع المعرفي في نظرية كونت)

أمَّا عن خطوط التّقاطع المعرفيّ بين العلوم ,لدى كونت, فتظهر بوضوح في رؤيته لموقع هذا العلم من بين أبرز العلوم, فبعد أن حدَّد طبيعة علم الاجتماع بوصفه علمً وضعيّاً , و طابعهُ الوضعيّ لا يرقى إليه الشَّكّ , نظرًا لخضوعه الى قوانين ثابتة تُمكّنه من أن يُتّخذ سمة العلوم القياسيَّة. بعد ذلك انتقل الى تصنيف العلوم ليبين موقع علم الاجتماع منها , قبل أن ينتهي الى اتّخاذه العلم الذي يلخّص و يتوّج , في آن واحد , جميع العلوم الأخرى التي سبقته [٥٥] حاول كونت أن يبوّب العلوم تبعًا لتدرّج مادتها في البساطة و التَّعميم ,فرتبها على هذا النحو: (الرياضة , فالفلك , فالطبيعة (= الفيزياء) , فالكيمياء , فعلم النبات , ثم علم الاجتماع) بحيث يرتكز كل واحد من هذه العلوم على نتاج الذي قبله ,وكان قدر علم الاجتماع من هذا المنظور أن يكون من العلوم جميعها ذروتها العالية , ولا تبرز أهميّة علم من العلوم الأخرى ألَّا بمقدار ما يقدّمه من شرح و توضيح لعلم الاجتماع , فالعلم – بما أنَّه يعني المعرفة اليقينيّة – يسيرُ على التَّرتيب السَّابق من موضوع إلى آخر ,فمن الطبيعي أن تكون ظواهر الحياة الاجتماعية لِمَا فيها من تعقيد , آخر ما يخضع للطريقة المنهجية.[٥٦] تظهر استعارات كونت في خطابه النَّظريّ بصورة أكثر رزانة ممَّا كانت عند من سبقه من المفكرين,إذ يقيم كونت – من جملة ما يقيم من مماثلات– بين علم الاجتماع و العلوم الأخرى (المماثلة العضويّة)أي بين جسم الكائن الحيّ و الجسم المجتمعيّ [٥٧] وليس يعني ذلك أنّه أول جاء بهذا الصَّنيع , فللماثلة العضوية تراث رصين يضرب جذراً في عمق التّراث الفكريّ [٥٨], ولذا فهو يتحدّث عن المحاولات الاجتماعية التي باءت بالفشل على يد كلّ من (مونتسكيو) و(سبنسر) (كوندرسيه) حين كان , إذّاك , علم الأحياء في مرحلة الطّفولة , وهو أيضاً يشير الى إعجابه بفكرة (كوندرسيه) ويراها ضرورية لعلم الاجتماع , وهي أنَّ هذا الأخير قد جعل مجموع النّوع الإنساني كائنًا وحيداً يتطوّر, ومن هنا رأى أن التَّوازي بين الجسمين لا يكون كاملاً , أي التوازي بين الجسم الاجتماعي الهائل و بين الجسم العضويّ الذي يدرسه علم الحياة , فيجب إذن تضييق نطاق المقارنة بحكمة , لكي لا تكون هذه المقارنة سبباً في تقرير أوجه معيبة, فالفرد في رأيه ليس إلَّا معنى مجرداً ,و المجتمع هو الحقيقة الواقعيّة ,فيجب ألّا نفسّر الإنسانية عن طريق الإنسان ,وإذا كان الإنسان الفرد موضوعًا لعلم الأحياء ,فإنَّ الإنسانيَّة هي موضوع علم الاجتماع ,أي تكون النَّظرة الصحيحة في أن تتّجه الى دراسة (الكلّ) بدلًا من(الجزء),و ذلك هو الانتقال من المركّب الى البسيط , فعلى الرَّغم من أنَّ العناصر الفردية في المجتمع تظهر أكثر انفصالاً من أجزاء الجسم الحي, إلّا أنَّ التَّضامن بين الأجزاء الاجتماعية يكون أشدَّ قوَّة من تضامن الأجزاء الحيويَّة . و من جانب آخر أنَّ ممَّا يدعو إليه كونت ضرورة استخدام منهج جديد يكون بمستطاعه محاصرة الظواهر ,ذلكم هو منهج الملاحظة التاريخيّة و هذا يكفي لدحض مسألة إرجاع علم الاجتماع الى علم الحياة , و بعبارة أخرى ان إرجاع علم الاجتماع الى علم الحياة معناه إلغاء الملاحظة المباشرة للماضي الاجتماعي [٥٩] وكان ماكس هوركهايمر قد أشار بقوة الى بؤس هذه المماثلة ومدى ما فيها من مكر في سياق نقده بدايات فلسفة التاريخ البرجوازيّة,يقول هوركهايمر:((إنَّ مقارنة المجتمع بجسم مريض أو سليم هي حقًّا مقارنة خطرة,إنّها تحول دون الرؤية الصائبة للحالة التي عليها الأمور,ذلك أنَّ سعادة الجماهير العريضة وحياتها تبدو على نطاق واسع وكأنّها ليست مرتبطة إلَّا عضويًّا برفاهة الكلّ,إنّ رابطة عضوية بين الفرد والمجتمع ,بحيث يكون خير هذا الأخير أو شرّه متماثلًا مع الحالة الصحيّة للفرد ,وإن أمكنها أن توجد في بداية القرون الوسطى في عدّة مناطق معزولة من أوربا على غرار عدّة أقوام بدائية ذات اقتصاد جماعي,فإنّها لم تعد مقبولة في العصر الحديث))[٦٠]ولكن ما الذي حدا بكونت الى الأخذ بالمذهب العضوي , ومن ثمَّ قلب معادلة الانتقال من الجزء الى الكلّ رأسًا على عقب؟. قلنا إنَّ المماثلة العضويَّة ذات تراث فكريّ حافل يضرب بجذوره في عمق تاريخ الفكر الاجتماعي ,وهي تساق – سواء بكونها مجرد استعارة أم بكونها منهجًا– كأداةٍ تبريريَّة إقناعيَّة تحاجج على ضرورة التَّلاحم و الالتزام بالرّوح الجماعيَّة , و هي بذلك حجَّة نافذة على شحذ روح التآلف و التآزر الاجتماعي , وإذا علمنا أنَّ كونت قام في ضوء هذه المماثلة ((بدراسة المجتمع الأوربي في القرون التاسع عشر))[٦١] وهو يطرح استنتاجات هذه المماثلة على أنَّها ((برنامج إصلاحيّ للمجتمع))[٦٢] أقول إذا علمنا ذلك ظهر لدينا مغزى هذه المماثلة ,ففي زعمنا أنّه كان بإزاء حجَّة رصينة يبرهن بها ,و يراهن, على جدارة النّظام القديم بالبقاء ,لكونه نظامًا هو أقرب للحفاظ على اللّحمة التي تؤمّن سلامة الجسم الاجتماعيّ في مواجهة آفات النّزعة النقدية التي تناوئ النظام الرجعيّ ,فقد شخَّص كونت أزمة المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر ((فوجدها تتمثّل في حركتين : حركة تخريب النظام الإقطاعي القديم , و حركة بناء النظام الجديد المتمثِّل بسيطرة النَّزعة التخريبية , أي الاتجاه النَّقدي الذي يعيق حركة التَّقدم السليم ,و عليه وجد أنّ الحلَّ الوحيد يكمن في تفعيل النموذج العضويّ الذي يتوافق إيديولوجيًّا مع الاتّجاه الرَّجعيّ (المحافظ) لاستعادة المجتمع القديم , ويحول دون سيطرة الاتجاه النقديّ الذي يقوم على التهديم لا البناء)).[٦٣]وفيما يخصّ التاريخ , فإنَّ كونت يعوّل كثيرًا على المعرفة التاريخيَّة , فهو كثير التعويل على فكرة أنَّنا لا يمكننا أن نعرف فكرة معرفة كاملة إلَّا بالرّجوع إلى تاريخها , ونراه بالمنهج التاريخي الذي يصوغه على

غرار فلاسفة التاريخ الخطيين[٦٤] , يؤكّد فكرة سلب الإرادة الانسانيَّة , ولهذا يقوم هذا المنهج على المبدأ الذي جعله كونت أساسًا لنظريته في علم الاجتماع ,و مفاد هذا المبدأ ((أنّ طبيعة الإنسان تتطوّر دون أن تتغيَّر , فالقوى المختلفة طبيعيَّة كانت أم خلقيّة أم عقليّة , لا بدَّ أن تظلّ كما هي في جميع مراحل التَّطور التاريخيّ و أن تظلَّ دائمًا مترابطة فيما بينها على نمط واحد ,ولا يمكن للنمو الذي يطرأ على هذه القوى عند انتقالها الى الحالة الاجتماعية الجديدة أن يغيّر قطُّ من طبيعتها , ولا أن يقضي تبعًا لذلك على بعضها أو يخلف قوة جديدة , بل لا يستطيع أن يغيّر النّظام الذي تترتّب فيه بحسب أهميتها))[٦٥] ونرى أنّ قانونه الشهير المسمى بقانون الأطوار الثلاثة[٦٦]ما هو إلَّا تجسيدٌ لزعمه .و بهذا تندرج رؤية كونت في هذا الشأن تحت ما عرف آنذاك من ردّات فعل فكريّة على مضمون (الجدل الهيجلي)[٦٧] و استبداله بمضمون آخر أي استبعاد فعاليّة العقل بوصفه محركًا للتاريخ الإنساني ,و القول بأن ذلك المحرك هو فعل الإنسان[٦٨]و الذي نلاحظه خلافًا لهذا الرأي أنّ كونت لم يأتِ برؤية بديلة سوى استبداله الإيديولوجيا الحيَّة للمحافظين وخططهم بالعقل الذي يتحدّث عنه هيجل ,فبينما كان محرّك التاريخ في نظر هذا الأخير هو الروح أو العقل , فإذا به في نظر كونت فلاسفة النّظام القديم و سعيهم للمحافظة عليه , و عندئذ ظلّت رؤية كونت محافظة على الحريّة التي تسلب الإنسان إرادته , وعلى الحتميَّة التي تسيّر الكون و الحياة بمعزل عن أيَّة إرادة للتغيير سوى ما تصادق عليه متطلبات هذا النظام . ومهما يكن من شيء فقد استقى كونت من رؤية هيجل و التّشكيلات الاجتماعية التي تصوّرها ماركس [٦٩] قانون المراحل الثلاث : (اللاهوتية , و الميتافيزيقية , و الوضعية) وقانون المراحل هذا عند كونت هو القانون الطبيعيّ لتاريخ المجتمع , لأنَّ تطوّر العقل هو الذي يتحكّم بتقدّم البشريّة الى جانب كونه مفسرًا لها .ففي المرحلة الأولى فُهم عالم الواقع وكانت القوى السّحريّة و إلهيّة تسيطر على الطبيعة و الانسان وبهما يسير الوجود , أمَّا في المرحلة الثانية فقد نبذت البشرية معتقدتها القديمة اعتمادًا على موقف نقديّ عقلانيّ , إلَّا أنَّها لم تجد في ذاتها القدرة على استبدال الفهم القديم , لأن الميتافيزيقيا ذاتيَّة و التفسير فيها لفظيّ لا يعدو أن تكون صياغات بلاغيَّة تختزل الظواهر ,بل الحقائق,بألفاظ و عبارات شاعرية مُلقمة بالعاطفة, ولكن مع ظهور العلم تمكّن العقل البشريّ من إقامة قوانين وضعيَّة على أساس اكتشاف الحلول الحقيقيَّة الفاعلة في الطبيعة و المجتمع .[٧٠]و ينظر كونت الى أن المرحلة الأخيرة أي(الوضعيّة) هي نهاية المطاف الذي يتوقف عنده التاريخ الإنساني[٧١]. ,وهنا يتظهر كيف أنّ قانون المراحل الثلاث يأخذ بعدًا تقييمياً لِمَا توصلت إليه أوربا في عصره ,وبالتالي تهميش المجتمعات الحاضرة التي ما تزال تعيش المرحلتين السابقتين.وعلى ما في هذه الأطوار من تأمليَّة فاضحة , نستفهم عمَّا يريده كونت من عبارة (العقل البشريّ) فهل يقصد به النشاط الإنسانيّ العام أو يقلّص هذا النشاط بثلَّة من العلماء و المعنيين ؟. يقرّ كونت((بأنَّ العلم إنتاج جماعيّ للإنسانيَّة))[٧٢] وهو لا ينكر تمامًا دور الإنسان في إحداث تغييرات طفيفة في الطبيعة تتمثّل بالتَّدخل للسيطرة عليها و ترشيد الإنسان من الناحية العقليّة .يرى كونت أنّه على الرَّغم من أنَّ الخطوط العريضة لهذه التغيّرات تحدث من دون أن يكون للانسان فيها دور ,إلَّا أنّه من الناحية العقلية يقرّ بالإرادة الإنسانية.ولكن الى أيّ حدّ؟.إنَّ هذه الإرادة إنَّما هي تدخّل فئة قليلة متمثّلة بكبار العباقرة و الفلاسفة الذين (يرشدون) الإنسانيَّة من الناحية العقليّة , وفي نظره أنّ ((التغيرات التي تطرأ على منهج التّفكير لا تصبح واضحة لعيان إلَّا بعد تمامها تقريبًا , ومع هذا فعظماء الرجال الذين تُقرن أسماؤهم بهذه التغييرات عن جدارة هم بالأحرى (أبواق) تعلن عن هذه التغيرات, بدلًا من أن يكونوا هم الذين ابتكروها)) [٧٣] وعند هذا تظهر الصبغة الإيديولوجية بكلّ وضوح بطابعها الفئوي الطبقي الذي يختزل مجتمع المعرفة بفئة تؤدي دور (البوق) حين تجعل على عاتقها تحويل النظام الحاكم الى حقيقة قارّة, بغية استمراره ودوامة و الحفاظ على مصالحه ومراميه .اعتبر كونت أنَّ العلم الجديد(الاجتماع) قد نشأ منذ اليوم الذي كشف فيه عن قانون الحالات الثلاث ، لأنَّه إذَّاك اختار أن ينظر الى الأشياء من وجهة نظر تطوريَّة ، ففي هذا القانون أثبت وجود قوانين خاصَّة بتّطور الظواهر الاجتماعية, حتّى إذا تسنَّى له ذلك توصَّل الى فكرة مفادها أنَّ هذه الظواهر خاضعة أيضًا لقوانين خاصة بالاستقرار الاجتماعي ، وعندئذ يولي كونت أهمية أكبر للجانب التطوّري في حياة الإنسان ويقدمه على الجانب السكونيّ[٧٤],وكان نتيجة ذلك أن يقسم كونت علم الاجتماع على قسمينِ : الاستاتيكا الاجتماعية التي تحيل على النظام (order) والديناميكا الاجتماعية التي تحيل على التقدم (progress). على أنّ كونت يشترط عند استعمال مصطلح (التقديم) أن يتمّ تجريد حمولته الدلاليَّة من أيّ معنى غائيّ أو نفعيّ أو خلقيّ ، وذلك بأنْ نجعله مرادفًا قدر المستطاع لمصطلح (النَّمو) ذي الطابع الموضوعيّ العلميّ, بما يشبه تمامًا استخدام علماء الحياة في دراستهم للكائن العضويّ ، فهم يريدون به التَّعبير عن مجموعة التغيّرات التي لا صلة لها بفكرة التَّحسين المستمر أو النكوص المتّصل[٦٩].ومن جانب آخر نرى أن مفهوم (التّطوير الاجتماعي) أيضا لا يُرضي علماء الاجتماع ، لأنه ذو مرجعية بيولوجيَّة ، وقد تمّ توظيفه بصورة فجّة في علم الاجتماع ، ومن ثم استعملوا مكانه (التَّغير الاجتماعي) الذي يتميّز – حسب ماكيفر– بحياديَّة تامة ، ويرى (أوسيبوف) أن هذا التحويل من مفهوم التَّطور الى مفهوم التَّغير إنَّما هو هروب من المشكلة وليس حلًا لها[٧٥].لكن المسألة – بشأن

كونت – تتضح أكثر عندما ندرك أن لفظي (النظام) و(التقدم) تشيران الى الشّعار الوضعيّ الذي وضعه كونت ونُقش بعد ذلك على قبره:((الحب مبدؤنا والنظام قاعدتنا ، والتقدّم غايتنا)) [٧٦] فالمسألة ، لهذا ، تخرج عن كونها موضوعيّة علميّة ,بل هي مسألة طموح ذاتيّ و التزام إيديولوجيّ:إنّ مماثلة السكون والحركة أجْريت بالقياس على علم الحياة والفيزياء أولًا والعلوم الأخرى ثانيًا,ما يعني ذلك أنّها أصبحت أصلًا استدلاليًا, أو أصبحت تشكّل مسطرة معرفيّة لا يمكن الخروج عنها في الحظة التاريخية تلك ,فكما ((أنَّ علم الحياة يفرّق بين النَّظرة التَّشريحية التي تتَّصل بالتَّركيب العضويّ ، وبين وجهة النَّظر الوظيفية التي تتَّصل بفكرة الحياة ، كذلك يفرّق علم الاجتماع بين دراسة شروط وجود المجتمع ,اي علم الاجتماع الخاص بالاستقرار ،وبين دراسة تتعلّق بحركيَّة المجتمع,و هذه التَّفرقة مطابقة تمام المطابقة للتَّفرقة بين فكرة النّظام وفكرة التَّقدم)) [٧٧] .وإلّا فإنّ هذا التقسيم ليس خاصًّا بعلم الاجتماع ، وليس , أيضًا , مقتبسًا من علم الأحياء والفيزياء فحسب ، على الرّغم من أنّ الفكرة تشدّ ذاتها الى هذين العلمين بقوّة، بل إنّه تقسيم ((مشترك بين العلوم ، ففي الرياضيات تنظر الهندسة الى العالم في حالة السّكون وتنظر إليه الميكانيكا في حالة الحركة ، وفي عالم الجماد ينظر علم الطبيعة الى القوى الطبيعية في حالة التَّوازن ، وتنظر إليها الكيمياء في حالة الفعل ، وفي علم الحياة يدرس علم التَّشريح تركيب الأعضاء فيمثّل السكون ، ويدرس علم الفسيولوجيا وظائف الأعضاء فيمثل الحركة)) [٧٨] .ومهما يكن من أمر ، فإنَّ كونت,وإن كان مسبوقًا من هذا الجانب, له فضل السّبق على كلّ علماء الاجتماع و الأنثروبولوجين في تقسيم موضوعات علم الاجتماع على ما يختص منها بحالة التوازن (=الاستقرار) ، وما يختص منها بحالة التَّطور (= الحراك) ، الى أن استقرَّت مباحث علمي الاجتماع و الإنسان على فكرتي (البناء الاجتماعي) و(التَّغير الاجتماعي) على الرَّغم من أنَّ التَّعبير عنهما لم يستقر تمامًا على المصطلح ، وإن كان اتفاقهم على المضمون يكاد يكون واحدًا ، على ما يتَّضح ذلك في الجدول الآتي الذي يصوّر ما انتهى إليه مصطلحا (الاستاتيك) و (الديناميك) لدى من خلفوا كونت وقاموا بتفعيل مضمونها بالتعبير عن طبيعة الحياة الاجتماعية و أنماطها في المجتمعات الإنسانية ,وانتهوا الى أن المجتمعات الإنسانية لا تخرج عن أحد هذين النمطين عند كل منهم حسب وجهته ، وحسب هذا الجدول :

هربرت سبنسر (١٨٢٠–١٩٠٣م)	المجتمع البسيط	المجتمع المعقد
هنري مين (١٨٢٢–١٨٨٨ م) إميل دوركايم(١٨٥٨–١٩١٨	مجتمع المكانة الترابط الآلي	مجتمع التعاقد الترابط العضويّ
فردنيا تونيز (١٨٥٥– ١٩٣٦م)	المجتمع المحليّ	الرابطة (=المجتمع)
أرنست بيرجس (١٨٨٦–١٩٦٦ م)	المجتمع المحلي	المجتمع الحضري
ريدفيلد (١٨٩٧ –١٩٥٨م)	مجتمع الفولك(الشعبيّ التقليديّ)	المجتمع المعقد

ومع أن كونت يشير الى أنَّه ينبغي تجريد لفظتي (التقدّم) و(النَّمو) من أيّ معنًى غائيّ ، أو أيّ تقييم أخلاقيّ كما أشرنا الى ذلك,إلَّا أنَّ العناية التي أظهرها كونت للديناميكيا الاجتماعية تبعث على المغزى الإيديولوجي الذي يحمله هذا التَّقسيم ،إذ إنّ هذا التَّقسيم ليس بمنأى عن ترسيمة قانون التطوّر (المراحل الثلاث)التي وقفنا عندها ،وإلّا فإنَّ كلا الاثنين – قانون المراحل الثلاث وتقسيم علم الاجتماع على الاستاتيكا و الداينميكا – يتَّسقان لأداء مهمة إيديولوجية واحدة مؤدَّاها أنَّ العالم عالمان: عالم متقدّم متطوّر ، وفي المقابل عالم ساكنٌ متأخّرٌ نامٍ ,وعلى هذا الأساس ينبغي أن يُجدول العالم وفق رؤية إيديولوجيَّة الى عالم متقدّم وآخر نامٍ ,وحقًّا فقد ظلَّت هذه الجدولة تتحكّم في مساعي وجهود من جاء بعد كونت من سوسيولوجين و أنثروبولوجيين .

الاستنتاجات :-

خرجنا ممّا تقدّم بمجموعة من الاستنتاجات,وهي:

- تورّطت النظرية الاجتماعية في التمركز حول فكرة "كليَّانيّة المعرفة" حين أقرّت باجتماعية الفكر بالمعنى الميتافيزيقيّ الذي يحيل على وجود روح جمعيّة مفارقة تتجاوز الأفراد,وبذلك أغفلت الواقع ,ولم تستطع–قصدًا لغايات إيديولوجيَّة –أن تقارب المعرفة وفق محتواها السياقيّ.
- ما يزال علم الاجتماع مشدودًا – على مستوى الرؤية والمنهج – الى الاستعارة النّماذج , بما يجعله يتطفَّل على نتاجات العلوم الأخرى ، وهذا ما أدَّى الى أن تغيب عنه نظريَّة راسخة الى اليوم .

- على مستوى الاستعانة بالنَّماذج التي اتكأ عليها علم الاجتماع كان لعلمي الفيزياء و الأحياء غلبة الحضور في الميدان النظريّ، هذا فيما يخص العلوم الطبيعيَّة ، أمَّا فيما يخصّ العلوم الانسانية ، فقد كان لعلم التاريخ حضورًا واضحًا في هذا الميدان ، ولعل السبب في ذلك هو أن رواد علم الاجتماع ،لاسيَّما كونت ، كانوا يقتربون من علم التَّاريخ ،ليُجذِّروا لخططهم ويبرّروا لسياساتهم,فالتّجذير يواتي توجهاتهم الإيديولوجية . وهذا ما يبدو أكثر حين نجد أنهم يبتعدون عن أيّة نزعة فرديَّة ،لأنّ هذه النزعة لا تخدم التوجّهات الإيديولوجية التي تجعل من (الكلّ) همّها الأوحد .
- اتَّكأ علم الاجتماع على العلوم الطبيعيَّة ، لأنَّ لهذه العلوم سيادة واضحة على الأطر الاجتماعية والعلميَّة آنذاك ، ومن ثمَّ – ولكي يتحكم علم الاجتماع بإطاره النُّموذجيّ – استعان بالنَّماذج الرياضيَّة والتقنيات الاحصائيَّة ، وذلك بالنّظر الى أنَّ الرياضة و الإحصاء يؤكدان حصافة المماثلة والتَّشابه بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعيَّة .
- يُعدُّ سان سيمون صاحب المبادرة الكبرى في اسناد علم الاجتماع الى مرجعيَّة العلوم الطبيعية،وبالتحديد الفيزياء النيوتنية،وبذلك كان السلف المباشر لتلميذه كونت.
- كان لنشأة كونت ، والأطر الاجتماعية الشائعة في زمنه وأيضا لانتمائه الايديولوجي ، أثر في نظريته ، إذ يبدو أنه لم ينجُ من التزاماته الإيديولوجية التي تشدُّه بالتَّيار المحافظ في فرنسا آنذاك ، وهكذا أصبحت (وضعيَّة) كونت هي المذهب الفكريّ للإمبراطورية الفرنسيَّة الثانية
- الذي جعل كونت يأخذ بالمذهب العضويّ ، بحذر شديد،وقلبه معادلة الانتقال من الجزء الى الكلّ ،هو أنَّه أراد بذلك حجَّة تدحض النَّزعات النقديَّة الداعية الى القضاء على النظام القديم في المجتمع الفرنسيّ ، ومن ثمَّ ضرورة الالتزام بالنِّظام الملكي الذي هو – في رأي كونت – أقرب للحفاظ على اللُّحمة ، و به تؤمَّن سلامة الجسم الاجتماعي .
- حظي علم التاريخ و المنهج التاريخي بعناية كونت وقد صاغ كونت منهجه التاريخيّ على غرار الفلاسفة الخطيّين ، وفي هذا تجسيد – أيضًا – لتوجهاته الإيديولوجية المحافظة التي تدعو الى سلب الإدارة الإنسانيَّة وفصلها عن عمليَّة سير التاريخ .
- يبقى لكونت فضل السّبق على جميع علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا الذين جاءوا من بعده على اختلاف انتماءاتهم, بحيث يظهر أثره التبريريّ على أغلب توجهاتهم في كلا الميدانين.

هوامش الدراسة

١- التنظير في علم الاجتماع, خالد كاظم أبو الدوح,:١١.
٢- ينظر: تأويل الثقافات,كليفورد غيرتز :٤٢٨-٤٢٩.
٣- ينظر: علم اجتماع المعرفة, السيد عبد العاطي ,:٣٠.
٤- ينظر: الأطر الاجتماعيّة للمعرفة,غورفيتش:٢٣-٢٤.
٥- ينظر: علم اجتماع المعرفة,شحاتة صيام:٧.
٦- ينظر:المصدر نفسه:٧.
٧- ينظر:علم اجتماع المعرفة,د.معن خليل عمر:٢٢٨.
٨- ينظر: ,الإيديولوجيا واليوتوبيا,كارل منهايم:٨٤.
٩- ينظر : الثقافات الثلاث ،العلوم الطبيعية والاجتماعية و الانسانيَّات في القرن الحادي والعشرين,جيروم كيغان :٢٦٨.
١٠-ينظر: مقدمة في علم الاجتماع,ارمان كوفيلييه :٨.
١١-ينظر : علم اجتماع المعرفة,السيد عبد العاطي السيد :٤٤.
١٢- المركزية الغربية,عبد الله ابراهيم :١٣.
١٣-ينظر : الإيديولوجيا وقضايا الاجتماع,نبيل محمد السمالوطي :٤٠.
١٤- نقد علم الاجتماع البرجوازي,س.ي.بوبوف :٤ .
١٥-ينظر: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ,فريدة غيوة:١٤ .
١٦-تطور الفكر الغربي ,علي عبد المعطي محمد وآخرون :٢٢٣.
١٧-المدخل الفلسفي للحداثة,داود عبد النور :٣٠.

١٨- اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة :١٥.

١٩-الآلية : إشارة الى المذهب الآلي الذي هو بالضّبط محاولة للامتداد بالنظرة الآلية الى الكون ، بحيث تشمل الكائنات الحيّة بأكملها، ويرى هذا المذهب, باختصار, أنَّ من الممكن تقديم تفسير كامل للكائن العضويّ على أساس المبادئ الآلية ، أي عن طريق القوانين التي تسري على المادة في حركتها .ينظر : الفلسفة وأنواعها ومشكلاتها ,هنتر ميد:١٤١.

٢٠-القول بأنَّ العلوم متجانسة في جملتها قد فرض نفسه على الفلاسفة المحدثين منذ أن بحث (ديكارت) عن منهج عام للعلم ,فقد كان يتصورالعلم وحيدة لا تتجزّأ ، وكذلك توجد فكرة تجانس العلوم في صورة أخرى عند (ليبنتر),وأيضًا عند (كانت)الذي يبيّن أنَّ العلوم الرياضيّة والعلوم الطبيعية تعتمد سواء بسواء على المبادئ التركيبية التي تسمو على التجربة .وعلى أيّ حال فإنّ صورة (وحدة العلوم) تبدو أكثر اكتمالًا عند أوجست كونت على ما سنأتي عليه.ينظر : فلسفة أوجيست كونت :١٣٩.

٢١-اتّساق الطبيعة :ما تكشفه لنا انطباعاتنا الحسيَّة الى العالم المنظم المقنّن الذي يصفه لنا العلم الطبيعيّ, ويرى(ديفيد هيوم) أنَّ الإنسان قادر بطريقة روتينية على أن يقوم بوثبة من عالم الانطباعات الحسيّة الى النموذج المنظّم للعالم الطبيعيّ ،الذي يوصف بأنّه (النظام الطبيعي) .ينظر : التنوير,دوريندا أوترام :١٧٦.

٢٢-على أنَّ الرياضيات ,في الحقيقة ,ليست من العلوم الطبيعيّة ، إلّا أنّها تلعب دورًا كبيرًا،لا دورًا مكمّلًا فحسب ، في تأكيد جدارة هذه العلوم ، وعلى ما يتضح بعد .

٢٣- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها :١٤١

٢٤-المصدر نفسه :١٣٦.

٢٥- العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في تاريخ الإسلامي ,محمد عابد الجابري: ١٥٦

٢٦- فلسفة أوجست كونت : ١٣٠.

٢٧-المصدر نفسه : ١٤١.

٢٨- النظريّة الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة ,د.شحاتة صيام :١٦٤.

٢٩- السوسيولوجيا والتاريخ, درو بليشيفا ، ل-م : ١٧ .٢٤

٣٠- -المصدر نفسه : ١٨.

٣١- -المصدرنفسه : ١٩.

٣٢- النظرية الاجتماعية من بارسنز الى هابرماس,إيان كريب : ٢٦٥.

٣٣-وصف الوضعيَّة بالتجريبيَّة يأتي احترامًا وتميزًا لها عن (الوضعيّة المنطقيّة) و هي اتجاه فلسفيّ معاصر يعوّل اساساً على التجربة ,بل و الإفراط فيها , بغية تحقيق الدّقة و التحليل المنطقي للغة العلم ولغة الحديث اليوميّ ,و وتعدّ اللغة من منظور الوضعية المنطقية المصدر الوحيد للمعرفة و ليس للعقل عمل إلا مجرد تنسيق معطياتها و تنظيمها .ينظر : المعجم الفلسفي : ٢٠١٤ – ٢٠١٥ .

٣٤-ينظر المصدر نفسه : ٢٠١٤.

٣٥-الإنسكلوبيديون : جماعة من كتاب و المفكرين في القرن الثامن عشر كانوا بإزاء تحرير دائرة المعارف ,و هي موسوعة تبحث ,ما شاءت, في كلّ حقول العلم و الآداب , و كان على رأسهم(ديدرو ١٧١٣ – ١٧٨٤ م)و (دلامبير ١٧١٧ –١٧٨٣ م) .ينظر : باشكيل , علي فؤاد :٣٠ .

٣٦-الحتميَّة : تعني جملة من الشّروط المسبقة التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر,و تنفي وجود إرادة إنسانيّة تتحكّم أو تتدخّل في ضبطها. ينظر : التغير الإجتماعي بين علم الاجتماع البرجوزي و علم الإجتماع الإشتراكي,محمد أحمد الزعبي : ٩١ .

٣٧-ينظر : مقدمة في علم الاجتماع ,كوفيلييه : ٣٣ .

٣٨-ينظر : تاريخ الفكر الأوربي الحديث وسترومبرج,: ٣٢٩ وما بعدها.

٣٩-المصدر نفسه:٣٣٥ .

٤٠-ينظر :المصدر نفسه : الصفحات (٣٣٥ – ٣٣٦ – ٣٤٩) كذلك : مصادر و تيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا,ج.بنروبي :١٠ .

٤١-ينظر : المصدر نفسه : ٣٥٤

٤٢-ينظر : التنوير: ١٨٤ . كذلك : مقدمة في علم الاجتماع ,كزفيلييه :٣٣

٤٣-ينظر: سان سيمون ,بيار أنسار : ١٠٢ .كذلك : مصادر و تيارت الفلسفة , المعاصرة: ١٠

٤٤- العقل و الثورة ,هربرت ماركيوز:٣١٥ .

٤٥-ينظر : بدر , سعد عبد مرسي , الإيديولوجيا و نظرية التنظيم مدخل نقدي ,سعد عبد مرسي بدر :٢٠ .

٤٦-الرومانسية : ليس المراد بها هنا بوصفها موقفاً فنيًّا و حسب . و إنما كموقف فكريّ و رؤية معينة للعالم , و هو موقف ينادي بتفوق العاطفة على العقل ,إذ تراهن الرومانسيّة وتبالغ في طلب الحرية و التّعبير الفاحش عن الفردية , و كذلك التعبير عن الإرادة و القلق و الكآبة و التشاؤم و الهرب من الواقع و الميل الى الغوامض و الخوارق ,و التركيز المفرط على الذات الخيال و تقديمها على الحسّ النقدي . ينظر : سترومبرج , رونالد , تاريخ الفكر الاوربي الحديث : ٧٢٣- ٧٢٤ .

٤٧-الأرثوذكسية : تعني ما عليه الاكثرية من الرؤى و المواقف , فالمقصود به هنا الرؤية الفكرية التي عليها أغلبية المحافظين .ينظر : تاريخ الفكر الاوربي الحديث : ٣٩٨ .

٤٨-المقصود بهذين المصطلحين ما كان يعرف في الدراسات الاجتماعية القديمة التي كان الهدف الأساس منها إيجاد قواعد للعمل تمكّن الذات العارفة من الوصول الحقيقة , فقد كان وجهة نظر هذه الدراسات غائية و معياريّة , فهي غائبة لأنّ الاعتبار الوحيد لديها هو الوصول الى المثل الأعلى الذي ينبغي تحقيقه, و البحث عمّا ينبغي أن يكون عليه التنظيم الاجتماعي و السياسي (الأمثل), أمَّا عن كونها معياريَّة فبمعنى الاهتمام المباشر الذي كانت توليه بوضع معايير, أي قواعد للعمل بمقتضاها في الحياة الجمعيّة , وكان الاهتمام يتبلور , آنذاك , فيما ينبغي أن يكون, وليس فيما هو كائن أو ما سوف يكون .ينظر كوفيلييه أرمان , مقدمة في علم الاجتماع :الصفحات ٥- ٦ - ٧- ٨

٤٩-ينظر : العقل و الثورة : ٣١٢ .

٥٠-واللافت أنَّ لفظ (الاستسلام) -كما يقول ماركيوز- لفظ رئيس في كتابات كونت . ينظر : العقل و الثورة :٢١٥

٥١-المصدر السابق : ٢١٥

٥٢-ينظر : الإيديولوجيا و نظرية التنظيم :٢٠ .

٥٣-ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة,د.يوسف كرم : ٣١٩

٥٤-ينظر : المصدر نفسه :٣١٩ كذلك : فكر ابن خلدون العصبية و الدولة : ١٥٦

٥٥-ينظر : فلسفة أوجست كونت : ٢٧٥ .

٥٦-ينظر : قصة الفلسفة الحديثة,أحمد أمين وزكي نجيب محمود : ٢ / ٤٦٣ – ٤٦٤

٥٧-ينظر : المجتمع , النظام البنية في موضوع علم الاجتماع و اشكاليته ,فؤاد خليل:٣٥

٥٨-لا يخلو تراث أيّة أمّة من حكم ومواعظ تحثّ على شدّ الأزر والتآلف بين أبنائها,وخير ما يلخّص لنا هذه المماثلة في الحضارة الإسلاميّة قول نبيّنا محمد -صلّى الله عليه وسلّم-:"مثلُ المؤمنين فيتوادّهم وتراحمهم وتعاطفهم,مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى".الحديث في صحيح الإمام البخاري,كتاب الأدب,برقم(٦٠١١).

٥٩-ينظر : فلسفة أوجست كونت : الصفحات ٢٤٦ – ٢٤٧ – ٢٤٧- ٤٩

٦٠-بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية,هوركهايمر:٧٢.

٦١-المجتمع , النظام , البنية : ٣٦

٦٢-المصدر نفسه: ٣٧

٦٣-ينظر:المصدر نفسه : ٣٧ .كذلك :علم الاجتماع,د.عبد الله إبراهيم: ٢٨ – ٢٩ .

٦٤-الخطيَّة : كلّ فلسفة ترى أنّ للتاريخ مساراً واحداً ,وهي في مقابل النظريّة الدائريّة, تقرّ الخطية على وجود خطّة محدّدة سلفًا تسير الإنسانية وفقها, على ما نجد عند هيجل (١٧٧٠ – ١٨٣١ م) الذي تصوّر التاريخ على أنّه معرض للروح المطلقة , وهي تقضي مضمونها على مرّ الزمان اللامتناهي. ينظر : مدخل جديد الى الفلسفة,د.عبد الرحمن بدوي: ٢٨٤

٦٥-فلسفة أوجست كونت :٢٥٦.

٦٦- ينظر في شأن قانون الأطوار الثلاثة , لا على سبيل الحصر , في هذه المؤلفات:بريل ليفي , فلسفة أوجست كونت : ٥٤ – ٦٣ .كذلك: علم الاجتماع ,عبد الحميد لطفي: ٢٦٦- ٢٦٧ .كذلك:, مدخل الى علم الاجتماع,طلعت محمد عيسى : ٣٢- ٣٣ .كذلك: مقدمة في علم الاجتماع ,عبد اللطيف العاني ولاهاي عبد الحسين:١٥ – ١٦.

٦٧- الجدل الهيجلي , نسبة الى فردريك هيجل (١٧٧٠ م – ١٨٣١ م) و الجدل عند هيجل – بإيجار – هو انتقال الذهن عن وجود قضية و نقيضها الى وجود قضية ناتجة عنها ثم متابعة ذلك حتى تصل الى المطلق .ينظر المعجم الفلسفي :٦٠ .

٦٨- يرى هيجل أن العقل الأعلى هو القوة التي تحرّك التاريخ الإنساني , وذلك أنّ الفكرة الوحيدة التي تجلبها الفلسفة معها ,وهي تتأمل التاريخ هي الفكرة البسيطة عند العقل و التي تقول : إنّ العقل يسيطر على العالم, و أنّ تاريخ العالم بالتالي يتمثّل أساساً امامنا بوصفه مساراً عقليًّا , فالعقل جوهر مثلما هو قوة لامتناهية يزوّد نفسه بغذائه الخاص , وهو نفسه موضوع عملياته ,و على حين أنَّه وحده أساس الوجودي و غايته النهائية المطلقة , فإنه أيضًا القوة المنشّطة التي تحقق هذه الغاية و تطورها ,فهو الماهية ذات القوة المطلقة يكشف عن نفسه في العالم , و لا يكتشف في هذا العالم شيء سواه.ينظر : العقل في التاريخ, , ج –ق –ق , هيجل : ٢/ ٧٨.

٦٩- يرى ماركس وزميله فردريك إنجلز أنّ تطور المجتمع الانساني كان إثر الثورة التي تقيمها تشكيلة معينة على ما سبقتها , وهذا يظهر في الأشكال الاجتماعيّة التي أفرزها التاريخ الإنساني و أهم هذه التّشكيلات في نظر ماركس و زميله: المشاعيَّة البدائية , و العبوديّة , والإقطاعية الرأسمالية ,و الاشتراكية , والشيوعية .ينظر : لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ,ل.سيغال :٦ .

٧٠- ينظر: المركزية الغربية :٥٢ .

٧١- ينظر : النظرية الاجتماعية بين العلم و الفلسفة ,عبد الفتاح عثمان :٣٦ . في الهامش

٧٢- فلسفة أوجست كونت :٨٠.

٧٣- ينظر: المصدر نفسه :٢٥٩-٢٦٠ .

٧٤- ينظر : المصدر السابق :٢٧٨.كذلك : مقدمة في علم الاجتماع ,كوفيلييه:٣٥.

٧٥- ينظر : التغير الاجتماعي,الزعبي :٣٨.

٧٦- ينظر : مقدمة في علم الاجتماع,كوفيلييه: ٣٥

٧٧- فلسفة كونت :٢٥٩.

٧٨- تاريخ الفلسفة الحديثة ,يوسف كرم: ٣٢.

المصادر والمراجع

- اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ،فريدة غيوة, دار الهدى ، الجزائر ،٢٠٠٢ م.
- الأطر الاجتماعيّة للمعرفة,جورج غورفيتش,ترجمة د.خليل أحمد خليل,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر,بيروت,٢٠٠٨م.
- الإيديولوجيا ونظرية التنظيم مدخل نقدي, سعد عبد مرسي بدر, , ط ١ , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية – مصر , ٢٠٠٠ م.
- الإيديولوجيا وقضايا الاجتماع ، النظرية والمنهجية والتطبيقية ،نبيل محمد توفيق السمالوطي,ط ١،دار المطبوعات الجديدة للطباعة والدراسات والنشر –الاسكندرية ،د–ت.
- الإيديولوجيا واليوتوبيا,كارل مانهايم,مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة,ترجمة دكتور محمد رجا الديريني,شركة المكتبات الكويتية,د–ت.
- تاريخ الفكر الأوربي الحديث (١٦٠١ – ١٩٧٧)رونالد وسترومبج , ترجمة احمد الشيباني , ط ٣ , دار القارئ العربي للنشر و التوزيع و الاعلان – مصر , ١٩٩٤ م.
- تاريخ الفلسفة الحديثة,يوسف كرم , ط١ , دار العالم العربي , القاهرة ٢٠١١ م.
- تأويل الثقافات ,كليفورد غيرتز ترجمة د- محمد بدوي ط١ , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت – لبنان ٢٠٠٩م.
- التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي, محمد أحمد الزعبي, ط , دار الطليعة للطلباعة و النشر , بيروت , ١٩٧٨ م.
- تطور الفكر الغربي ، عبد المعطي محمد علي, وآخرون, مكتبة الفلاح ،الكويت ، ١٩٨٧.
- تكوين العقل العربي،د.محمد عابد ،ط ١١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،٢٠١١ م.

- التنظير في علم الاجتماع الاستعارة والخيال خالد كاظم أبو الدوح,مجلة الفكر المعاصر الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب,ع(١٢)أكتوبر,٢٠١٨م.
- التنوير، دوريندا أوترام ، ترجمة د–ماجد موريس ابراهيم ، ط ١،دار الفارابي ،لبنان ، ٢٠٠٨ م.
- الثقافات الثلاث ،العلوم الطبيعية والاجتماعية و الانسانيات في القرن الحادي والعشرين,جيروم كيغان ،ترجمة صديق محمد جوهر ،المجلس لوطني للثقافة والفنون ،الكويت ،٢٠١٤ م.
- درس الإبستمولوجيا,عبد السلام بن عبد العالي وسالم يفوت, دار الشؤون الثقافية العامة,بغداد,١٩٨٦.
- سان سيمون,بيار أنسار, ترجمة ابراهيم العريس , المؤسسة العربية للدراسات و النشر ١٩٧٩.
- السوسيولوجيا والتاريخ,ل.م درو بليشيفا، ترجمة الدكتور علي نمر دياب ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، ١٩٨١ م.
- سوسيولوجيا العلم قراءة في فلسفة توماس كون ,كريم موسى،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،٢٠١٤م.
- علم الاجتماع (السوسيولوجيا) , د.عبد الله إبراهيم , ط ١ , المركز الثقافي العربي , ٢٠٠٤.
- العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في تاريخ الاسلامي ,د. محمد عابد الجابري، ط ٢ ، دار الطبيعة ، بيروت ، ١٩٨٢ م.
- العقل في التاريخ (محاضرات في فلسفة التاريخ)ف.هيجل,ترجمة وتعليق و تقديم الدكتور : مام عبد الفتاح , ط ٣ , دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ,بيروت – لبنان ٢٠٠٧ م.
- العقل و الثورة ,: هيجل و نشأة النظرية الاجتماعية ,هربرت ماركيوز, ترجمة فود زكريا , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٧٩ م.
- علم الاجتماع ,عبد الحميد لطفي, دار النهضة العربية , بيروت – لبنان , ١٩٨١ م.
- علم اجتماع المعرفة,السيد عبد العاطي السيد ,دار المعرفة الجامعية القاهرة,٢٠٠٠م.
- علم اجتماع المعرفة وصراع التأويلات من العقلانية الى إحياء الذات,د.شحاتة صيام,دار مصر العربية للنشر والتوزيع,٢٠١٣م.
- فلسفة أوجست كونت ,ليفي بريل، نقله الى العربية وقدم له الدكتور محمود قام ، والدكتور السيد محمد يدوي ، ط ٢، مكتبة الانجلو المصرية ،د–ت.
- الفلسفة وأنواعها ومشكلاتها ,هنتر ميد،ترجمة الدكتور فؤاد زكريا ، ط ١ ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة –نيويورك ،١٩٦٩.
- قصة الفلسفة الحديثة أحمد أمين , وزكي نجيب محمود, مطبعة لحية التأليف و الترجمة و النشر القاهرة , د– ت.
- لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ,ل.سيغال,. ط ٥ , دار دمشق , سوريا , ١٩٧٤ م.
- المجتمع (النظام البنية في موضوع علم الاجتماع و إشكاليته)د.فؤاد خليل , ط ١ , دار الفارابي , بيروت – لبنان ٢٠٠٨ م.
- مدخل جديد إلى الفلسفة,د.عبد الحمن بدوي،ط ١،دار المعارف الاسلامية ،طهران ،د–ت.
- مدخل الى علم الاجتماع,محمد طلعت عيسى , دار المعارف , بيروت لبنان ١٩٧٥.
- المركزية الغربية, د.عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي،بيروت /الدار البيضاء ،١٩٩٧م.
- المعجم الفلسفي الصادر عن المجمع الغة العربية في جمهورية مصر العربية ,علي عبد المعطي محمد وآخرون, الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية – القاهرة , ١٩٨٣م.
- مقدمة في علم الاجتماع ,إرمان كوفلييه،ترجمة الدكتور السيد محمد بدوي ،والدكتور عباس أحمد الشربيني ،دار المعارف –مصدر ،د–ت.
- مقدمة في علم الاجتماع ,أليكس إنكلر ، ترجمة الدكتور محمد الجوهري و آخرون ،ط ١، دار المعارف –مصر،١٩٧٥ م.
- مقدمة في علم الاجتماع ,د.عبد اللطيف العاني ود.لاهاي عبد الحسين, الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة , بغداد – العراق ٢٠٠٠ م .
- موقف الدين من العلم, علي فؤاد باشكيل , ترجمة اورخان محمد علي , ط ٣ , دار الانبار , العراق ١٩٨٨م

- النظرية الاجتماعية بين العلم و الفلسفة ,عبد الفتاح عثمان , مكتبة الانجلو المصرية , مصر ١٩٧٩ م.
- النظرية الاجتماعية من بارسنز الى هابرماس,إيان كريب ، ترجمة محمد حسن غلوب ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٩ م.
- النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحادثة ،د.شحاتة صيام, ط ١ ، دار مصر العربية للنشر والتوزيع ، مصر ٢٠٠٩ م.
- نقد علم الاجتماع البرجوازي,س.ي.بوبوف ، ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق –سوريا، د–ت.

References

1. Trends and Personalities in Contemporary Philosophy, Farida Guiwa, Dar Al Hoda, Algeria, 2002 AD.
2. The Social Frameworks for Knowledge, George Gurevitch, translated by Dr. Khalil Ahmad Khalil, University Studies and Publishing Foundation, Beirut, 2008.
3. Ideology and Organization Theory, Critical Introduction, Saad Abd Morsi Badr, 1st floor, University Knowledge House, Alexandria - Egypt, 2000 AD.
4. Ideology and Sociology Issues, Theoretical, Methodological and Applied, Nabil Muhammad Tawfiq Al-Samalouti, 1st ed., New Publications House for Printing, Studies and Publishing - Alexandria, D-T.
5. Ideology and utopia, Karl Mannheim, Introduction to the Sociology of Knowledge, translated by Dr. Muhammad Raja Al-Derini, Kuwait Library Company, D-T.
6. The History of Modern European Thought (1601 - 1977) by Ronald Wastromberg, translated by Ahmed Al-Shaibani, 3rd Edition, Dar Al-Qari Al-Arabi for Publishing, Distribution and Advertising - Egypt, 1994.
7. History of Modern Philosophy, Youssef Karam, 1st Edition, House of the Arab World, Cairo 2011 AD.
8. Interpretation of cultures, Clifford Geertz, translated by Dr. Muhammad Badawi, 1st floor, Center for Arab Unity Studies, Beirut - Lebanon 2009 AD.
9. Social change between bourgeois sociology and socialist sociology, Muhammad Ahmad Al-Zoubi, ed., Dar Al-Taleiah for Printing and Publishing, Beirut, 1978
10. The Development of Western Thought, Abd al-Mu'ti Muhammad Ali, et al., Al-Falah Library, Kuwait, 1987
11. Forming the Arab Mind, Dr. Muhammad Abed, 11th Edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2011 AD.
12. Theorizing in Sociology, Metaphor and Imagination, Khaled Kazem Abu Al-Douh, Journal of Contemporary Thought issued by the Egyptian General Book Authority, P (12) October, 2018 AD.
13. Al-Tanweer, Dorinda Outram, translated by Dr. Majid Morris Ibrahim, 1st Edition, Dar Al-Farabi, Lebanon, 2008.
14. The Three Cultures, Natural and Social Sciences and Humanities in the Twenty-First Century, Jerome Keegan, translated by Siddiq Muhammad Jawhar, National Council for Culture and Arts, Kuwait, 2014.
15. Studied Epistemology, Abd al-Salam bin Abd al-Aali and Salem Yifoot, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1986.
16. Saint Simon, Pierre Ansar, translated by Ibrahim Al-Arees, Arab Foundation for Studies and Publishing, 1979.
17. Sociology and History, LM Drew Belisheva, translated by Dr. Ali Nimer Diab, Modernity House for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1981.
18. Sociology of Science: Reading in Philosophy of Thomas Kuhn, Karim Musa, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 2014 AD.
19. Sociology (Sociology), Dr. Abdullah Ibrahim, 1st Edition, Arab Cultural Center, 2004.
20. Asabiyah and the state, features of the Khaldounian theory in Islamic history, Muhammad Abed Al-Jabri, 2nd floor, House of Nature, Beirut, 1982.
21. Mind in History (Lectures on the Philosophy of History) F. Hegel, translation, commentary and presentation by Dr. Mam Abdel Fattah, 3rd Edition, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon 2007.
22. Reason and Revolution: Hegel and the Genesis of Social Theory, Herbert Marcuse, translated by Foud Zakaria, The General Egyptian Book Organization, Cairo, 1979.
23. Sociology, Abdel Hamid Lotfi, Arab Renaissance House, Beirut - Lebanon, 1981 AD.
24. Sociology of knowledge, Mr. Abd Al-Ati Al-Sayed, Cairo University Knowledge House, 2000 AD.

25. Sociology of knowledge and the struggle of interpretations from rationality to self-revitalization, Dr. Shehata Siyam, Misr Al-Arabiya House for Publishing and Distribution, 2013 AD.
26. Auguste Comte's Philosophy, Levi Braille, transferred it to Arabic and presented to him by Dr. Mahmoud Qam, and Dr. Muhammad Yadudhi, 2nd Edition, The Anglo-Egyptian Library, Dr.

27. Philosophy, Its Types and Problems, Hunter Med, translated by Dr. Fouad Zakaria, 1st Edition, Franklin Foundation for Printing and Publishing, Cairo-New York, 1969.
28. The Story of Modern Philosophy, Ahmed Amin and Zaki Naguib Mahmoud, Laheyah Authorship, Translation and Publishing Printing Press, Cairo, d-t.
29. A glimpse of the evolution of society since the beginning of history, L. Segal, 5th floor, Damascus House, Syria, 1974 AD.
30. Society (The System Structure in the Subject of Sociology and Its Problems) Dr. Fouad Khalil, 1st Edition, Dar Al-Farabi, Beirut - Lebanon 2008 AD.
31. A New Introduction to Philosophy, Dr. Abdel-Hamman Badawi, 1st floor, Dar Al-Ma`arif Al-Islamiyyah, Tehran, Dr.
32. Introduction to Sociology, Muhammad Talaat Issa, Dar Al Maaref, Beirut, Lebanon 1975.
33. Central Western, Dr. Abdullah Ibrahim, the Arab Cultural Center, Beirut / Casablanca, 1997 AD.
34. The Philosophical Dictionary issued by the Arab Language Academy in the Arab Republic of Egypt, Ali Abd al-Mu'ti Muhammad and others, The General Authority for the Affairs of the Amiri Press - Cairo, 1983 AD.
35. Introduction to Sociology, Erman Coffellier, translated by Dr. Mohamed Badawi and Dr. Abbas Ahmed El-Sherbiny, Dar Al Maarif - Source, Dr.
36. Introduction to Sociology, Alex Enckler, translated by Dr. Mohamed El-Gohary and others, 1st Edition, Dar Al Maaref - Egypt, 1975 AD.
37. Introduction to Sociology, Dr. Abdel-Latif Al-Ani and Dr. Lahai Abdel-Hussein, University House for Printing, Publishing, Distribution and Translation, Baghdad - Iraq 2000 AD.
38. Religion's position on science, Ali Fuad Bashkil, translated by Orkhan Muhammad Ali, 3rd Edition, Dar Al-Anbar, Iraq 1988 AD.
39. The social theory between science and philosophy, Abdel-Fattah Othman, The Anglo-Egyptian Library, Egypt 1979.
40. The social theory from Parsons to Habermas, by Ian Cripp, translated by Muhammad Hassan Globe, The World of Knowledge, Kuwait 1999 AD.
41. The Social Theory from the Classical Stage to the Post-Incident, Dr. Shehata Siyam, 1st Edition, Misr Al Arabiya Publishing and Distribution House, Egypt 2009.
42. Criticism of bourgeois sociology, C.Y. Popov, translated by Nizar Oyoun Al-Soud, Dar Damascus - Syria, DT.